الفصل الثالث

جوانب مهمة في الذات

هناك العديد من الجوانب الأخرى في الذات غير المرض النفسي تستحق النظر اليها والوقوف عندها لما تحمله من علامات واضحة على سوء الحالة أو تحسنها داخل شخصية الانسان ، ونستعرض منها الآتي :

- **الرؤى والأحـلام :**

يقول الرسول الكريم " الرؤيا ثلاثة . بشرى من الله ، وتحزين من الشيطان ، والذى يحدث به الإنسان نفسه فيراه فى منامه " .

وهناك إعتراف كامل من علماء الصحة النفسية بما يسمى سيكولوجية الحلم حيث أنه أمر واقع ومتغير ويدعو للتفكير والتدخل لمعرفة كيفية حدوثه ولماذا يتغبر مرة بالصورة الواضحة وأخرى صورة مشوشة ، ولكن الرؤية التى هى شأن من شئون الغيب ليس لها محل من آراء الصحة النفسية لأن تفسيرها وتحليلها له علم آخر يختلف عن سيكولوجية الحلم .

وقد قسم فرويد الحلم إلى ثلاثة أقسام ، حلم الرغبات والأمانى وهو ما يعرف بحلم اللذة ، وحلم الجزع والعقاب الذى يحل محل الشهوات المحرمة ، وأخيراً حلم الهلاوس الذى لا يعنى إلا تدخلات من الصور الغير مفهومة . فالحلم ظاهرة شائعة فى حياة الأسوياء ، مهما تمايزت خصائصه عن ظواهر حياتنا اليقظة ، وكلنا نعرف أن الحلم قد يكون مختلطاً مستغلقاً بل وقد يكون يخلواً من المعنى ، وقد يناقض مضموناته أحياناً مع كل ما نعرفه عن الواقع.

وكثيراً من الناس يتأثرون بأحلامهم لدرجة أنهم يحاولون وضع التفسيرات المرضية لهم ويبنون عليها ما سوف يستجد من أحداث فى حياتهم وهذا مما لاشك فيه درب من دروب القلق من المستقبل ومحاولة إيجاد مبشرات تنير للشخص طريق المستقبل .

أما الرؤية فهى شأن من الغيب كانت من إحدى الوسائل التى يتصل الله بها مع من يريد من الأنبياء كما فى قوله تعالى " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا " سورة الفتح . الآية ٢٧ ، وكما فى أمر ذبح نبى الله إسماعيل على يد أبيه إبراهيم فى قوله تعالى " ... قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ " سورة الصافات . الآية ١٠٢ ، وقوله تعالى " " قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " سورة الصافات . الآية ١٠٥ ، فالرؤية أمر نادر الحدوث ، فقد لا تحدث لأشخاص كثيرين وقد تحدث مرة واحدة للشخص فى حياته ، ولا يشترط أن من يرى رؤية صادقة يكون على إيمان بالله أو بتوحيد الله جل شأنه، فقد تصدق الرؤية مع كافر ، ولنا من قوله تعالى على لسان الملك الذى حكم مصر فى زمن الاحتلال الهكسوسى السند والبرهان حيث أنه كان وثنياً ولكنه رأى فى نومه رؤية صادقة حيث قال الله تعالى " وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ " سورة يوسف . الآية ٤٣، وكذلك فرعون موسى الذى رأى فى نومه أن طفلاً من بنى إسرائيل يهدم ملكه ، فتربص ببنى إسرائيل وكان ما كان مع نبى الله موسى حتى نهايته وغرقه بجنوده ، وكذلك رؤية قائد الفرس أن العرب

يجتمعون على نار المجوس حتى أطفؤها وحدث بعدها فتح بلاد فارس ودخولها فى الإسلام ، وكثير من أشخاص لا إيمان لهم قد رأوا رؤى صادقة حدثت كما رأوها .

وقد يبرز تساؤل فى أذهان كثير من المتفكرين فى شأن الرؤية وخصوصاً مع حديث النبى الكريم " الرؤية الصادقة جزء من سته وأربعين جزء من النبوة " فكيف تحدث لهؤلاء الكفرة الفجرة ، ولعل بالبحث عن إجابة لهذا التساؤل تشفى الصدور وجد أن الله تعالى قد أراد ذلك ليسير أمور فى خلقه ويدفعها بإيمان واعتقاد من رأى هذه الرؤية بصحتها وتعامله مع الأمور على أن هذه الرؤية شئ مادى مؤكد .

ولكن يبقى سؤال يتردد فى أذهان الكثير من البشر ، لماذا نحلم ولا نرى رؤى صادقة ؟ وكيف أكون من أهل هذه الرؤى حتى أسعد بما قد يكون مستقبلاً ؟ ، فكما سبق أن ذكرنا أن الحلم له سيكولوجية وأنواع تعد من النواميس الثابتة لدى عامة البشر ، أما الرؤية فهى إلهام من الله لاريب فيه مهما أنكر المنكرون ، فالقرآن الكريم قد أقر ذلك وإنتهى الأمر ، وقد يسعى البعض لوضع طرق قد تؤدى للرؤية الصادقة مثل النوم على وضؤ والحفاظ على صلاة الفجر وقراءة سور من القرآن ، ولكن متى وكيف تأتى ؟ فهذه من الأمور التى تعد من الغيب التى لا دخل للإنسان فيها ، فقد كان سلطان المماليك قطز عبد مملوك فى بلاد الشام ورأى رؤية صادقة أن النبى الكريم يخبره بأن يذهب إلى مصر فسوف يصبح ملك عليها ويهزم التتار ، وفعل ذلك وتحققت الرؤية ، فقد كانت بمثابة تحريك من الله لإحداث أرادها لخلقه ، وقد يرى شخص رؤية صادقة لتوصيل رسالة ما لشخص آخر .

فخلاصة القول أن الرؤى أمر قطعى الثبوت والدلالة شرعاً ، وليس للرؤية طريق أو إستعداد من الإنسان لحدوثها فهى رسالة من الله يرسلها وقتما شاء لمن يشاء وقد

تكون واضحة جلية ، وقد تحتاج لمن يؤلها ويفك رموزها كما فى قوله تعالى " إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ " سورة يوسف . الآية ٤٣

- **العقيــدة :**

لعل كلمة العقيدة مستنبطة من كلمة العقدة التى التى تحكم الإغلاق فى سرة القماش ، فمفهوم كلمة العقيدة هو الإيمان الجازم بأشياء داخل النفس وأفكار داخل النفس سواء كانت صالحة أو فاسدة ، وظاهر العقيدة هو التصرفات والسلوك الذى يبدو على صاحبها .

فقد سرد لنا التاريخ الحديث ما كانت تفعله بعض كتائب الجيش اليابانى فى الحرب العالمية الأولى والثانية من عمليات إنتحار جماعى من أجل تنفيذ مهمة عسكرية محددة ، على الرغم من أن هؤلاء اليابانين ليس لديه إعتقاد فى وجود الله تعالى ولا أن هناك بعد الموت ثواب وعقاب ، ولكنه قد ترسخت داخلهم إعتقادات بثها فيهم الكهنة من أصحاب الديانات الوثنية بصور خرافية مختلقة كانت نتيجتها أن تم تشكيل كتائب موت جماعى تنفذ المهام العسكرية بلا تردد وبلا نقاش ، ولا يمكن أن يأخذ أى إنسان أمر يكون نتيجته الوحيدة الموت المحقق وينفذه وذلك مصداقاً للقول الشائع " ياروح ما بعدك روح " إلا فى حالات نادرة كالتى تتمكن العقيدة فيها من الشخصة فتصبح هى الآمر الناهى فى هذا الشأن .

وهذا هو عين مايحدث من خلال العمليات الإستشهادية فى فلسطين، فنجد عقيدة المسلم الراسخة تأمره بأن يسلك طريقاً ما حتى ينال الجنة وصحبة الرسول صلوات ربى وسلامه عليه ، فالشاهد هنا فى العقيدة ذاتها وليس محتوى العقيدة من صلاح وفساد

، فللكافر عقيدة وللمسلم عقيدة وقد تحركهما العقيدة فى نفس الاتجاه مع الفارق فى النتيجة .

ولكن لماذا يلجأ الإنسان لإكتساب عقيدة وتصبح هى المسيطرة عليه والدافعة لكل تصرفاته ؟ ، السبب الوحيد هو شعور الإنسان الداخلى بالضعف فى هذه الحياة مهما بلغت قوته وجبروته ، فالإنسان دائماً امام قوى لا تقهر كالمرض الذى لا شفاء منه والشيخوخة التى لا يستطيع دفع علاماتها عن وجه وصحته والموت الذى يراها يحصد كل البشر إن عاجلاً أو آجلاً ، فضلاً عن كثير من الأشياء التى يقف أمامها الإنسان مكتوف الأيدى عاجز عن التصرف لا حيلة له ، ولهذ لا بد له من ملجأ يحتمى به نفسياً حتى يستطيع العيش وتقبل كل الهموم والأحزان بشئ من الصبر ، أى أن الضعف الإنسانى وراء لجؤ الإنسان للعقيدة .

ومما لاشك فيه أن الإنسان منذ بدأ الخليقة وهو دائماً يبحث له عن أمان نفسى فى وجود إله قوى يحميه ويدفع عنه الضرر الذى لا يقدر عليه ، فكانت المجتمعات البشرية تتخذ الشمس إلهاً أو الكواكب أو الحيوانات المفترسة ، وحتى حديثاً نجد مجتمعات متقدمة علمياً وتكنولوجياً تتخذ ألهة من جماد مثل بوذا وكنفوشيوس ، على الرغم أن هذا يتنافى تماماً مع التطور العلمى الهائل ، ولكن تبقى الشخصة كما هى تحتاج من حين لآخر إلى الحماية النفسية ، ولو عقدنا مقارنة بين من يعبدون الأصنام والبقر والحيات فى عصرنا الحالى ومن ينكرون عبادة أى شئ على الإطلاق ولا يلجأون نهائياً إلى أى عقيدة لوجدنا أن عبادة البقر والصنم تعطى لمعتقديها شعور بالحماية النفسية يفتقدها العلمانى الملحد المنكر لأى عقيدة فى الدنيا .

وبالعودة للقرآن العظيم نتبين ونفهم مدلول العقيدة وتأثيرها على الشخصة كما حدث لنبى الله إبراهيم ، فقد كان ملك الوحى جبريل يكلم إبراهيم ويبلغة رسالة ربه ومع ذلك سأل إبراهيم ربه أن يريه بعينه كيف يحى الموتى مع أنه مصدق لكلمات الله ولكن النفس هى النفس وإن كان أبو الأنبياء تحتاج دائماً لمزيد من الدعم النفسى والمعونة التى ترسخ العقيدة بداخلها وقد صور لنا الله تعالى ذلك فى قوله " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي .... " سورة البقرة . الآية ٢٠٦

ولعل هذا عين ما حدث لنبى الله موسى الذى كان يكلم الله تعالى مباشرة بدون وحى ومع ذلك أراد مزيد من الدعم النفسى فطلب من الله تعالى أن يراه مباشرة كما يكلمه مباشرة وذلك فى قوله تعالى " وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ " سورة الأعراف . الآية ١٤٣

فالإنسان مفطور على معرفة الله فمن ترك نفسه على سجيتها اهتدى للعقيدة السليمة ومن طوع نفسه لهوى عقله وعلمه الزائف انحرف حتماً عن الطريق السليم ، وهكذا بدأت محاولات الإنسان في البحث عن العقيدة من خلال البحث عن الله أملا في طمأنينة وأمن ، وتحقيقا لاحتياجات ورغبات وهكذا بدا أن الاحتياج إلى العقيدة احتياج أساسي ملازم للحياة .

ومع الإحساس الفطرى للإنسان بوجود الله الخالق نزلت الديانات السماوية تترى لتنتهي بالعقيدة الكاملة كما قال تعالى " ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ ..." سورة المائدة . الآية ٣ ، وكما قدمنا فإن العقيدة تشمل البشر جميعا

حتى إننا نستطيع أن نعرف الإنسان بأنه المخلوق صاحب العقيدة فلا يوجد إنسان بلاعقيدة بمعنى أنه لا يوجد إنسان بلا مفهوم ينظم العلاقة بينه وبين القوى الحاكمة في الكون والحياة أى قوة الله ، وهذه العقيدة نجدها في البشر الذين يؤمنون بالديانات السماوية كما نجدها في غيرهم من البشر الذين لا يؤمون بالديانات السماوية وكذلك من اتخذ عقله ومزاجه الشخى إله له يسير حسب ما يرشده ، ومن هنا فالعقيدة فطرة فطر الله الناس عليها كما ذكر سيد المرسلين " كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه " .

وقد توصلت الأبحاث النفسية أن الطقوس الدينية تقوى القدرة على التحكم في الغرائز والدوافع وخاصة تلك الدوافع التي تكسر الحدود الاجتماعية للسلوك ، فصلاة الجماعة وصلاة القيام فى رمضان والعمرة والحج وغيرهم من مظاهر الطقوس الدينية للمسلمين تفعل فى الشخصة إحاسيس أشبه بالسحر يصعب تفسيرها ، فكثيراً مانرى رجال ونساء فى حالة مرضية وانهاك جسدى يذهبون إلى الحج والعمرة فنراهم وكأن حيوية الشباب دبت فى أوصالهم وأصبحوا يتمتعون بطاقة وقوى لإداء المناسك ، فمن أين تلك القوى الطارئة ؟، إنها مما لاشك فيه إندفاع العقيدة التى تجعل النفس تعلو على آلام الجسد وضعفه وهذا ما أوضحه الله تعالى لعباده المؤمنين حينما قال " قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ " سورة البقرة . الآية ٢٤٩ ، فهذا هو فعل العقيدة بالنفوس التى تستخدم الأجساد وفق ما تريد ، حتى أن فرويد قد توصل إلى الرأي بأن الدين يقلل من إحساس الفرد بالقلق كما يحمي من القلق الناتج عن الإحساس بعدم القدرة في مواجهة قوى الطبيعة والدين يشبع احتياجات الإنسان ، كما إنه يتصور أن مصير الإنسان يحدده سلوكه في الدنيا وعلى

هذا الرأي فإننا نستطيع أن نفترض أن الدين يؤكد اختيار الإنسان لسلوكه وبالتالي لمصيره وهكذا يدفع الإنسان إلى تأكيد اجتماعية وتعديل سلوكه الاجتماعي لمزيد من التكيف وذلك من أجل تحقيق المكاسب لذاته سواء في الدنيا أو الآخرة .

كما يعتقد فرويد أن العقيدة تحمي الإنسان من اليأس بإعطائه الفرصة لتأكيد علاقته بالله واعتماده عليه . وإن كان قد صور هذا الاعتماد بأنه اعتمادية الطفل على والديه تعاد إليه في الكبر بشكل اعتمادية الفرد على الله وبصرف النظر عن هذا الوصف فالحقيقة أن الدين يدعوه إلى مزيد من الاعتماد على الله .

ومن أهم الأسباب لخلق عقيدة متزنة راسخة ما يلى:-

١) الاتزان فى العلاقة بين الفرد المسلم وربه ، فيقول تعالى " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ " سورة غافر . الآية ٦٠ ، كذلك يدرك الإنسان حقيقة هامة فى قوله تعالى " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ " سورة ق . اية ١٦ ، فإذا كان الله تعالى يجيب الدعاء ويعلم ما توسوس به النفس فلا بد لنا من معرفة حقيقة هامة وهى " نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ " سورة الحجر . الآية ٤٩ ، ٥٠ .

٢) الاتزان بين الفرد والحاكم المسلم هذا الاتزان قائم على أساس أن مسئولية الحاكم عن كل فرد تحتم أن يلبى له حقه ولو كان في أبعد بلاد المسلمين وحتى بدون طلب ، كما قالت إمرأة اعمر بن الخطاب " يتولى أمرنا ويغفل عنا " فشعر عمر بالحزن الشديد لإحساس أحد رعيته أنه مقصر ، فعلى قدر السلطة يكون البذل والعدل ، وعمر هو القائل الشعار الإسلامى الخالد " إن رأيتم في اعوجاجا فقومونى " فيرد

المحكومون " لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا " فيقوا عمر " الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم عمر بالسيف " ، فكيف يتم هذا الإتزان فى العصر الحالى والحكام ترى بأعينهم هوان الشعوب وإزلالهم ويغتنون من أموال هذه الشعوب ويتركونهم لمصارعة الحياة كالحيوانات التى تتصارع على فريسة، يكفينا منه قول على بن أبى طالب " خذوا عليكم أمير باراً كان أو فاجراً ، فإن كان فاجراً فيكفيكم أنه يقيم فيكم الصلاة ويجاهد بكم العدو " ، وحتى يصبح الأمر أكثر إتزاناً فعلى كل إنسان أن يدرك تماماً أنه سوف يأخذ حقه كاملاً من الحكام الطغاه أمام الله تعالى وبهذا يكون قد فاز بالنصيب الأكبر والأبقى .

٣) الاتزان في العلاقة بين المسلم والمسلم ، إن تعامل المسلم في مجتمعه يلزم أن يرعى فيه وجه الله ، ويعلم تماماً أن جوهر الدين فى المعاملة ، أى أن التبسم صدقة والكلمة الطيبة صدقة ويقول الرسول " المسلم هاشاً باش " ، أى أن حسن المقابلة بشاشة الوجه هى عنوان المسلم ولب هذا الدين العظيم .

٤) الاتزان في العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى وهذا يعتمد على قوله تعالى " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " سورة البقرة . الآية ٢٥٦ ، وقوله تعالى " وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ... " سورة الكهف . الآية ٢٩ .

- **الحب و الحنين :**

الحب شعور غريب يتدفق من الشخصة بصور متعددة ، وإن كانت باقى المخلوقات لا يبدو منها تدفق الحب إلا فى شكل غريزة الأمومة ولهفة الحيوان الأم على

صغارها ، أما الشخصة فالحب عندها له الكثير من الأشكال ، وقد يختلط الشعور على الشخص نفسه بين شعوره بالحب أو شعوره بالحنين نحو مكان أو أشخاص .

وأول مظاهر الحب المتعارف عليها بين نفوس البشر هو الحب بين نفس الرجل ونفس المرأة ، فالرجل يميل نفسياً وجنسياً إلى المرأة الجميلة ، وقد لا يميل إطلاقاً إلى المرأة غير المرغوبة فى الشكل والطباع ، فيطلق على الشعور الأول إسم الحب ، وكذلك المرأة تميل نفسياً وجنسياً إلى الرجل الوسيم صاحب الذات القوية ، وفى هذه الحالة فهو تعبير خاطئ ، فهو ليس حب وإنما رغبة نفسية وجنسية للإقتراب من إمرأة جميلة أو رجل وسيم وهذا هو ما كان يذهب إليه فرويد فى جميع تحليلاته النفسية ، أن الحب ما هو إلا تعبير عن الرغبة الجنسية بين الرجل والمرأة .

ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فهناك بالفعل علاقة حب بين الرجل والمرأة لا يعرفها فرويد ، ولكننا قد عرفناها من القرآن العظيم حيث قال تعالى " وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ " سورة الأنعام . الآية ٩٨ ، وهذه العلاقة تتولد من جملة مواقف وأحداث وعشرة فى الحياة ، فتتنحى الرغبة الجنسية جانباً وتبقى المشاعر متدفقة تحمل إسم الحب دون النظر لنوع الجنس .

وهناك نوعاً آخر من الحب يعرف بالطاعة العمياء ، وذلك نراه فى طاعة ولاة الأمور والمسئولين من بعض البشر حتى وإن كان هذا يغضب الله تعالى ، كأن يظلم الإنسان ويفترى ويأكل حقوق العباد إرضاءً لشخص آخر بيده مصلحة له ، وهذا النوع من الطاعة سماه الله حباً لأنه طاعة لغير الله كما فى قوله تعالى " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ " سورة البقرة . الآية ١٦٥ .

وهناك نوعاً آخر من الحب فى إنتشار الرزيلة والفساد الأخلاقى بين الناس ، وذلك نراه فى كثير من المؤلفين والمخرجين والممثلين والصحفيين وبعض المسئولين عن الإعلام الذين ينادون ليل نهار بحرية الفن وحرية الإبداع وعدم التقيد بمظاهر الدين لأنها تعرقل مسيرة الإبداع، وكل هذا ما هو إلا ستار من الكلمات البراقة التى تأخذ العقول حتى تعطى المبررات المنطقية لتعرى المرأة ورفض الحجاب الشرعى وعدم ممناعة الأحضان والقبلات والإيحاءات الجنسية بين الرجل والنساء على الشاشات المرئية ، وكذلك الوقوف بشدة وصرامة أمام بعض الكلمات مثل العفة والطهارة والتوبة والأخلاق والإحتشام والحجاب ، وهذا الحب الفاسد أشار الله تعالى عنه فى قوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا " سورة النور . الآية ١٩ .

وهناك حب آخر يجتمع عليه عامة البشر مسلمهم وكافرهم وصغيرهم وكبيرهم ألا وهو حب متاع الدنيا بكل صوره مثل المناصب والمال والبيوت والسيارات والرحلات والطعام والشراب وكافة ما يستمتع به الإنسان فى الدنيا وهو ما صوره الله تعالى فى قوله " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ " سورة آل عمران . الآية ١٤ ، وقد وصف الله تعالى شعوراً للحب أكثر من ذلك وهو حب الشعور بالحب لدى هذه المتع كما فى قوله جل شأنه " فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ " سورة ص . الآية ٢٣ ، ولكن إذا كان هذا ما جبلت عليه الشخصة فما هى المشكلة ؟ ، المشكلة هنا أن الإستغراق فى حب هذه الملذات والمتع مما لاشك فيه أنه يضع جدار عازل بين نفس الإنسان وبين موجبات طاعة الله وأوامره ونواهيه وهنا يجب على الإنسان الفطن وضع الميزان بداخله حتى تتساوى لديه طاعة الله وتنفيذ أوامره مع الإستمتاع بالحلال والطيبات التى خلقها الله ، وقد وصف الله تعالى من يستغرق فى حب الملذات ويتناسى الإمتحان الأكبر الذى

تظهر نتيجته بعد الموت ويوم العرض على الله فى قوله تعالى " إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا " سورة الإنسان . الآية ٢٧ .

وتحضرنا واقعة على هذا النمط حدثت لأحد أئمة المسلمين وهو ابن حجر العسقلانى كان يرتدى أفخم الثياب ويضع أفضل العطور ويعيش فى رغد ونعيم دنيوى ، فقابله أحد اليهود فى الطريق وكان رث الثياب يبدو عليه البؤس والفقر ، فقال اليهودى مستنكراً " تزعمون أن الله جعل الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر ، كيف هذا وأنت على هذا الحال وأنا على هذا الحال " فقال له الإمام " نعم هذا صحيح ، فما أنا عليه الآن مقارنة بما ينتظرنى فى الجنة من نعيم الله فأنا فى سجن ، وما أنت عليه الآن وما ينتظرك من عذاب جهنم الشديد فأنت فى جنة على الأرض " ، فالمسألة كلها تتلخص فى التوازن بين الحدود والضوابط التى شرعها الله ورسوله لنا فى القرآن والسنة وبين الإستمتاع بكل ما هو حلال وطيب فى الدنيا .

أما أعلى درجات الحب وأسماها وأرفعها منزلة هى الحب فى الله تعالى كما فى قوله جل شأنه " وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ " سورة الحشر . الآية ٩ ، وهذا النوع من الحب يجازى الله عليه بالجنة من شدة مكانته وعظمته، فعندما تحب شخص ليس بينكما مصلحة أو منفعة دنيوية ، وإنما تحبه لصلاحه وتقواه وعفته فهذا هو الحب فى لله ، وقد قال الله تعالى فى حديث قدسى عن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله منهم " رجلان تحابا فى الله ، تقابلا عليه وأفترقا عليه"، ولهذ كان الرسول الكريم دائماً يذكر كلمة أخاك بين المسلمين ، حتى ينتشر بين المسلمين الشعور بالأخوة الذى يؤهل حتماً للحب فى الله ، ولعل هذا النوع من الحب تجهله نظريات الصحة النفسية تماماً ، فليس فى مفهوم الغرب أو فى تكوينهم الفكرى

مسألة الحب فى الله ، أو أن تحب شخص بدون مصلحة أو منفعة ملموسة ، فهو من الأمور التى تفرد بها القرآن وشجعها وأثاب الله عليه من أخذ بها، حتى أن الرسول الكريم كان يعلم أصحابه أن من أحب شخصاً أن يخبره أنه يحبه فى الله وعلم الآخر أن يقول له " أحبك الله الذى أحببتنى فيه " .

والدرجة التالية لهذه المكانة من الحب هو حب الله تعالى لذاته ، وهذا ليس بعيد المنال فقد أخبرنا الله صراحة أن من البشر أشخاص يحبهم الله وهم يحبون الله حباً صادقاً كما فى قوله تعالى " فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ " سورة المائدة . الآية ٥٤ ، وقد ذكر الرسول المعلم " أن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل وقال أنى أحب عبدى فلاناً فأحبه ، ثم ينادى الملائكة كلهم أن الله يحب عبده فلاناً فأحبوه ، ثم ينزل الله محبته فى الأرض فى نفوس عباده " وهذا يعبر عنه المثل القائل من حبه ربه حبب فيه خلقه .

أما مسألة الحنين لبعض الأشخاص أو الأماكن قد لا تضح الصور هل هى بمثابة شعور بالحب أم مجرد شعور بالألفة تجاه بعض الأشخاص والأماكن ، فقد يشعر الشخص بالألفة والأرتياح مع والديه وأخوته وأقاربه وأصحابه وفى بعض الأماكن مثل الذى نشأ فيها صغيراً أو من كانت له فيها ذكريات وأحداث فى حياته ، فالحنين هنا مظهر من مظاهر الحب أو مظهر من مظاهر الألفة ، فقد يكون الحب للوالدين والألفة للأقارب أو الحب للبيت الذى ولدت فيه والألفة للمدرسة التى تخرجت منها .

ولعل الفرق بين مظهر الحنين النابع من الحب ومظهر الحنين النابع من الألفة يظهر فى الأوقات العصيبة ، كأن أكون أشعر بالألفة مع أقاربى والحنين إليهم ولكنى لا أتحمل معانتهم وخدمتهم فى المرض أو فى الديون أو المشاكل الخاصة بهم ، ولكن شعورى بالحب والحنين مع الوالدين أو الأشقاء يجعلنى أتحمل صعوبات الحياة معهم فى

الأوقات العصيبة ، ولعل هذا هو الفارق بين شعور الحنين المقترن بالألفة و شعور الحنين المقترن بالحب ، أما الأماكن فالأمر فيها أقل حدة وقد يتلاشى ، ولا ننسى قول النبى لمكة عندما خرج منها مهاجراً " والله إنك لأحب البلاد إلى ولولا أن أهلك أخرونى منك ما خرجت " ، ومع ذلك بعد فتح مكة آثر النبى العودة إلى المدينة عن طيب خاطر حتى مات فيها عندما رأى أن مصلحة المسلمين والدعوة تتطلب ذلك .

- **المس من الجن :**

كلمة الجن تعنى خلق على الأرض غير مرئى ومستورين عن نظر للإنسان ، وهم حقيقة لا جدال فيها ، فهم خلق من خلق الله ، فيهم المؤمن والكافر والكافر منهم يطلق عليه الشيطان من فداحة تصرفاته ، والجن أنواع متعددة فى القدرة على الفعل ، فهم أشبه بالقبائل المتخلفة فى الخصائص وقد أخبرنا القرآن الكريم أن منهم الغواصين فى البحر ومنهم من يسكن الصحراء، ومنهم من يعاشر الإنس ، وغيرهم الكثير .

ولكن ما مدى إرتباط الجن بالإنسان من واقع القرآن الكريم ومن ملفات الصحة النفسية ؟ ، فقد ثبت من آيات القرآن الكريم أن هناك ما يسمى بالمس من الشيطان ، والذى يكون من آثاره شعور الإنسان بالتوهان وعدم التحكم الكامل فى أعصابة ، وذلك من خلال قوله تعالى " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ " سورة البقرة . الآية ٢٧٥.

وهؤلاء الطائفة من الجن الذين يتعمدون وقوع الإيذاء بالإنسان وضعهم الله تعالى مع الفاسقين والملحدين من البشر فى مرتبة واحدة فى قوله تعالى " وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " سورة السجدة . الآية ١٣ .

إذاً فالجن منهم من يسعى لطريق الله وهؤلاء لا خوف منهم على الإنسان وهذه الطائفة هى من قال الله تعالى عنها " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا " سورة الجن . الآية ١ .

ومنهم يقوم بدور الهداية والدعوة لباقى عشيرتهم من الجن كما فى قوله تعالى " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ " سورة الأحقاف . الآية ٢٩

أما الطائفة التى يحاول الإنسان الإتصال بها بأى وسيلة ممكنة هى ولا شك الطائفة الضالة من الجن كما قال تعالى " وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا " سورة الجن . الآية ٦، ومن يسعى دائماً لمحاولات الإتصال بالجن يصبح مادة خصبة وسهلة للجن العاصى والفاسق أن يسيطر عليه ويطوعه كيف شاء كما فى قوله تعالى " وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ " سورة فصلت . الآية ٢٥ ، وهذا النوع من عصاه الجن والمارقين الذين يسمون بالشياطين يجدون طريقاً سهلاً للوسواس والنفث فى روع الإنسان الذى يلجأ إليهم كما فى قول الله عز شأنه " يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا " سورة النساء . الآية ١٢٠ .

ولكن شياطين الجن لا يكتفون فقط بالعصاه من البشر ولكن دائماً يكون لهم محاولات مع الصالحين أيضاً عسى أن يفوزوا منهم بمعصية لله كما فعلها قبلهم إبليس مع نبى الله آدم ، ومربط الفرس هنا هو كيف يتم هذا الإتصال بينهم ؟ ومدى تأثير الجن على الإنسان ؟ .

على الرغم أن الجن مسألة غيبية ، وأوربا فى العصر الحديث وبعد فصل الكنيسة والمعتقدات الدينية عن الحياة العامة أصبحت لا تؤمن إلا بالعلم فقط ، وكل ماتراه بالعين، إلا أن هناك ظواهر لأمور وقفوا عند تفسيرها، كأن يصاب الإنسان بحالة من الصرع والتشنج ، أو بعض حالات التوهان ، وعند الكشف الطبى عليه يرى أنه سليم جسدياً ، فيتم تحويلة للطب النفسى وتجرى عليه كل نظريات الصحة النفسية ، ولكن يقف الأمر محيراً إذ أن الصحة النفسية لا تجد فى طياتها ما يعالج هذه الظاهرة ، وهنا تطرق الأمر لمسألة وقوع الإنسان تحت ضغط خفى له سمات وصفات مختلفة فى تأثيرها ولذلك أطلق عليه علماء الغرب علم الباراسيكولوجى ، أى علم ما وراء الطبيعة ، وبدأوا يضعون فى إعتبارهم تأثير هذه المخلوقات الخفية على الشخصة .

ولعل الجن بحكم تكوينه وخلقه أصبح لديه القدرة على الدخول فى جسد الإنسان ، بل الأكثر من ذلك أنه يمكن لأكثر من جن الدخول فى جسد واحد ، وقد تم كشف النقاب عن هذه المسألة الغيبية من خلال حديث الجن نفسه مع أحد المعالجين أثناء محاولاته لطرده من جسد الإنسان ، فأخبر الجن أنه يدخل لجسد الإنسان من خلال لحظة ضعف، وهذه اللحظة تكون فى حالتين فقط ، إما فى لحظات الغضب الشديد التى لا يذكر الإنسان وقتها الله جل شأنه ، أو فى أوقات المعصية الشديدة مع إنقطاع الإنسان تماماً عن الصلاة وذكر الله ، وما إن يتمكن الجن من الدخول فى جسد الإنسان إلا ويمارس عليه ضغوط مختلفة حسب قدرة هذا الجن .

ولكن ما هو تأثير الجن على الإنسان بصفة عامة ؟ ، قد أخبرنا الله تعالى " إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا " سورة النساء . الآية ٧٦ ، فالشيطان أو ما يعرف بالجن الكافر ليست لديه قوة خارقة على الإنسان، بل هى محاولات الوسوسة وتزين الأمور الباطلة ،

ولا أدل على ذلك من تصوير الله تعالى للحوار الذى سوف يدور بين الشيطان ومن إتبعه من البشر يوم القيامة حينما يتهمه الإنسان أنه وراء إضلاله فقال تعالى " وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " سورة إبراهيم . الآية ٢٢ ، وهذا هو عين ما أقره الله تعالى فى بادئ الأمر حينما أنزل آدم وحواء وإبليس على سطح الأرض فقال تعال لإبليس " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ " سورة الحجر . الأية ٤٢ .

فمسألة تعرض الجن للإنسان مسألة محدودة ومحسوبة ، ومن الممكن أن يكون الإنسان أقوى بكثير من كل طوائف الجن ، وذلك بقوة الإيمان واليقين بالله تعالى مع التحرز بذكر الله والصلاة والصوم ، وتحضرنا القصة الشهيرة لعمر بن الخطاب عندما كان يسير فى الطرقات وكان فيه شياطين من الجن ففروا عندما رأوه فزعاً منه ، فقال له النبى الكريم " إن الشيطان ليخاف منك ياعمر " ، وبهذا نستخلص أن تعرض الجن للإنسان بالأذى يأتى من ضعف الإنسان وهوانه وعدم تمسكه بفرائض الله وذكره وليس من قوة الشيطان أو لإستخدامه لوسائل خارقة .

- **تقبل أصحاب الدين الآ خر :**

بكل نفس بشرية نصيب من التعصب لجماعتها سواء كانت هذه الجماعة مؤمنة أو ملحدة ، فالهندوس عبدة البقر فى الهند يكرهون ويقاتلون المسلمين هناك والعكس صحيح ، حتى الشيعة والسنة أصحاب الدين الواحد والكتاب الواحد يتقاتلون ويتناحرون .

ولكننا ليس بصدد الحديث عن أصحاب الملل الأخرى وكيف ينظرون إلى أصحاب الديانات المختلفة ، ولكن ما يعنينا هنا هو نظرة المسلمين لغيرهم من خلال القرآن العظيم والصحة النفسية ، وهنا يتبادر سؤال .. لماذا يهجو المسلم أو يحتقر أصحاب الديانات الأخرى ؟ ، هل هو حباً كبيراً للإسلام ؟ أم شعوره بتدنى مكانة غير المسلمين ؟ ، فإذا كانت الإجابة الأولى، فالحب والإنتماء للإسلام بعيد تماماً عن إحتقار أصحاب الديانات الأخرى وسوف نذكر الدليل على ذلك ، أما إن كانت الإجابة الثانية ، فلا خلاف أن المسلم أعلى مكانة من غيره ، ولكن علو مكانته لا تأتى إلا من عدم إحتقاره وكبره على الآخرين .

ومن المنظور النفسى نجد أن هناك ميلاً شديداً فى النفس للعصبية والنظام القبلى، وهذا هو ما حاربه الإسلام فى معاركه الأولى لتصحيح مسار الشخصة ، فكانت المعادلة الصعبة التى جعلت للمسلمين شأناً كبيراً بين العرب والروم والفرس كافة هى تحويل الإنتماء والعصبية إلى الله وحده ، وتحطيم أى عصبية أخرى ، فلا إنتماء للمهاجرين أو الإنصار أو العرب أو العجم أو السادة أو العبيد أو الرجال أو النساء ، وعندما تم كسر حدة العصبية لغير الله ، أصبحت تعاليم الله فقط هى المجال الوحيد الذى ينتمى إليه الجميع

ومن هنا فإذا كان الله تعالى قد أمر بالتعامل مع أصحاب الديانات الأخرى بشئ من الرفق واللين فى جميع المعاملات الدنيوية وحتى الدخول معهم فى مناظرات العقيدة بالحسنى ، فقد أصبح تقبل أصحاب الدين الآخر من أهم عوامل الحب والإنتماء الشديد للإسلام لأنه تنفيذ لأمر الله كما فى قوله تعالى " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي

الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " سورة الممتحنة . الآية ٨ .

وقد نرى كثيراً من المسلمين من يشعر بحاجز نفسى كبير عند تعامله مع غير المسلمين ، بل ويستنكف الخوض معهم فى أى معاملات أو علاقات إنسانية والسبب الرئيسى هو الإختلاف فى العقيدة، وشعور المسلم أنه طاهر بحكم إيمانه بالله ورسوله محمد صلى الله جل شأنه عليه وسلم ، وأن ماعداه ليس على نفس الدرجه من الطهاره والنقاء ، فهنا يجب التركيز على مسألة هامة وهى أن الرسول العظيم يعد أطهر وأنقى هذه الأمة ، ومع ذلك تعامل مع غير المسلمين والكافرين به شخصياً فى تعاملات خاصة جداً ترجع لطبيعة الشخص ذاته ومدى إحترامه والتزامه بمبادئ عامة ، فقد كان دليل الرسول فى الهجرة عبد الله بن أريقط وكان كافراً بالرسول ذاته ، ولكنه كان أميناً على السر وماهراً فى عمله فى معرفة ممرات الجبال ، وهكذا اليهود والنصارى ، وقد أخبرنا الله جل شأنه تعالى " وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " سورة آل عمران . الآية ٧٥ .

حتى الدخول مع غير المسلمين فى مسائل العقيدة فقد حدده الله جل شأنه أن يكون فى حدود توضيح العقيدة وسماحة الإسلام دون محاولات القهر والعنف الذى يظهر صورة الحرب الكلامية والتى تتطور للعنف الجسدى ، وعلى كل مسلم أن يتذكر جيداً كيف كان يدعو الرسول العظيم إلى الإسلام بالهوادة واللين ، كما قال تعالى " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " سورة أل عمران .

الآية ٦٤ ، وقوله تعالى " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " سورة العنكبوت . الآية ٤٦ .

وقد كان عمر بن الخطاب هو المثال الحى للإسلام بكل حدوده وضوابطه فمع أنه قلعة الإسلام وحامى العقيدة والفاتح العظيم لبلاد الفرس والروم ، إلا أنه أمر عمرو بن العاص أن يأتى من مصر هو وإبنه ووقف أمام رجل مصرى من النصارى قد ضرب إبن عمرو بن العاص إبنه عندما سبقه فى مسابقة عدو قائلاً له أتسبق إبن الأكرمين ، فشكاه المصرى إلى عمر بن الخطاب فى المدينة ، فقال عمر لإبن المصرى إضرب إبن الأكرمين وعاتب عمرو بن العاص على فعل إبنه قائلاً متى لإستعبدتم الناس وقد ولدوا أحراراً .

حتى فى الجزية المفروضة على غير المسلمين عندما اشتكى رجل عجوز من النصارى الفاقه وقلة المال وأنه لا يقدر على دفع الجزية فأمر عمر للذمى برفع الجزية عنه وإعطائه ما يكفيه من مال المسلمين ويقول قولته الشهيره ما عدلنا إذا أكلنا شبابه ولم نرحم شيخوخته .

فهل كل هذا يعنى أن عمر بن الخطاب قد يقبل أى تقصير فى حدود الإسلام ، أو أنه يوافق على أى عقيدة غير عقيدة المسلمين ، بالطبع لا، فحبه الشديد للإسلام وتعاليمه هو الدافع له لفعل كل هذا ، وهذا هو مربط الفرس فى تقبل أصحاب الدين الآخر .

فإن كان المسلم يأنف من تعامله مع أصحاب الديانات الأخرى، فليضع فى حسابه أن إنتمائه للإسلام هو الذى يفرض عليه أن يتعامل معهم فى حدود التعامل

الإنسانى الراقى العادل الذى ليس فيه تجاوز أو طغيان عليهم أو السماح لهم بتخطى حدود الله وتعاليم الإسلام .

ولعل هناك حديثاً لسيد المرسلين قد يستند إليه البعض وهو " لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى " وكذلك قول الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " سورة المائدة . الأية ٥١ ، وهذا لا ينافى ما قلنا سابقاً ، فلا يطلب من المسلم أن يندمج كلياً أو أن يندفع بعلاقاته مع غير المسلمين فى أموره الخاصة، أو أن يفضى إليهم بأسراره الذات ، أو أن يتخذهم صور للتقليد والتشبه ، ولكن لا بد من وضع الميزان النفسى بين الرفق والود فى التعامل معهم وبين تعاليم الله ورسوله كما فعل الرسول صلوات ربى وسلامه عليه وصحابته .

- **الفراسة :**

الفراسة لفظ عربى يعبر عن قراءة الذات من ملامحها ، وقد كان لهذا العلم أرباب ومهتمين به وقد انتشر فى اليمن بعد الإسلام ، حتى أن الإمام الشافعى رحمه الله عندما ذهب إلى اليمن طالباً للعلم قابل أهل علم الفراسة وسمع منهم ، وعلى الرغم أن الإمام مالك قد حظره من أن ينخرط فى هذا العلم حيث أنه لا جدوى منه ، لأنه يعتمد على قراءة الغيب فى وجوه البشر ، إلا أن الإمام الشافعى رأى أنه لا ضرر منه حيث أنه يزيد من قدرة الشخص على فهم بواطن الشخصة .

والذين يرفضون مسألة الفراسة والخوض فيها من أئمة المسلمين يعتمدون على قول الله تعالى " أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى " سورة النجم . الآية ٣٥، وقوله تعالى " وَعِندَهُ

مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ " سورة الأنعام . الآية ٥٩ ، فهم يرون أن الفراسة مجرد إستقراء للغيب وهذ أمر لا طائل منه لأن الله تعالى حسم المسألة بإن الغيب لا يعلمه سواه.

أما الصحة النفسية فقد أشارت إلى مسألة الفراسة بأنها الحاسة السادسة التى يتمكن من خلالها الفرد أن يشعر بما يدور فى نفس الآخرين ويتوقع ردود أفعالهم ، وأطلقت عليها لفظ الحاسة إستكمالاً للحواس الخمس لدى الإنسان ولما لها من نفس الشعور بالآخرين ، وقد أقرت الصحة النفسية أن هذه الحاسة غير متوفرة لدى كافة البشر وتزداد وتنقص مثلها كأى حاسة أخرى .

كما ذكرت الصحة النفسية الفراسة بمفهوم آخر على أنها معرفة سمات الذات وخصائصها عن طريق رؤية أو إدراك أودراسة ملامحها الخارجية المحسوسة مثل تكوين الرأس وشكلها ، وملامح الوجه أو أجزائه ومكوناته المختلفة ، وشكل الجسم ونسب أجزائه ومكوناته ، وتعتمد الصحة النفسية على نظرية لمبروزو العالم الإيطالى الذى اهتم بدراسة الجريمة فى وضع تصنيف للمجرمين واكتشافهم بناء على دراسة تقع فى حدود الفراسة ، وبذلك أعطى دفعة كبيرة فى العصر الحديث لإحياء الفراسة والإعتماد عليها بناء على ادعاءات علمية ، أغلبها باطل لم تثبت الدراسات العلمية الجادة صوابه .

ويعتبر جول عالم التشريح الألمانى هو أول من استخدم مصطلح علم فراسة الدماغ ، وتقوم نظريته على أن هناك علاقة واضحة بين مناطق محددة فى الدماغ وبين بعض القدرات والوظائف العقلية المعينة ، وأن هذه المناطق المحددة كلما كانت كبيرة كانت القدرات والوظائف الخاصة بها أقوى وأعلى ، ولكن هذه النظرية أيضاً لم تثبتها الدراسات العلمية وبالتالى لا تلقى اعترافا لدى المختصين

وهنا سؤال يطرح نفسه .. هل يقر القرآن الكريم مسألة الفراسة أو الحاسة السادسة؟، بالفعل يقرها القرآن ولكن بمفهوم أعمق كما فى قوله تعالى " إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً " سورة النساء . الآية ٩٨ ، فقد جعل الله تعالى الحيلة وهى أحد روافد القوة من فقدها كان من المستضعفين ، والحيلة هى كيفية التصرف بدهاء حتى أخرج من مأزق أو أحصل على حقى بصورة غير مباشرة .

فالفراسة بالمفهوم القرآنى مساحة متسعة من العقل الراجح والتصرف النادر فى المواقف التى تحتاج فطنه ، وإلينا ما حدث من نبى الله إبراهيم قبل أن يجهر بدعوته ، وقد طلب منه قومه أن يذهب معهم للمعبد لعبادة آلهتهم ، فنظر فى النجوم كما يفعل قومه لمعرفة الصحة والمرض وقال لهم إنى مريض ، فأعتذر بطريقة لبقة حتى يخرج من مأزق العبادة لغير الله ويحافظ على دعوته التى لم يجهر بها حتى ذلك اليوم ، وذلك فى قوله تعالى " فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ " سورة الصافات الآيات ٨٨ – ٩٠ ، وكذلك ما حدث من نبى الله محمد عند الهجرة عندما جعل على بن أبى طالب يرقد فى فراشة حتى يخدع المشركين ويظنون أنه النبى حتى يتمكن عليه الصلاة والسلام من تنفيذ مخطط الهجرة مع أبى بكر الصديق ويكسب المزيد من الوقت .

فمما لاشك فيه أن الفراسة مرتبطة بشكل وثيق بالذكاء فهى ليست درباً من دروب الغيب أو قراءة الفنجان ، وإنما هى مسألة ربط الأحداث مع إسترجاع لمواقف مشابهة يتم من خلالها بناء موقف جديد مضاف إليه الذكاء الفطرى الذى يتمتع به كل صاحب عقل نقى واعى .

وقد قال الله تعالى. " إن في ذلك لآيات للمتوسمين " ذكر عدد من أهل العلم أن هذه الآية في أهل الفِراسة ، والفِراسة نور يقذفه الله في قلب عبده المؤمن الملتزم بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يكشف له بعض ما خفي على غيره مستدلاً عليه بظاهر الأمر فيسدد في رأيه ، يفرق بهذه الفراسة بين الحق والباطل والصادق والكاذب دون أن يستغني بذلك عن الشرع .

هذه الفراسة هي ما يسميه العلماء بالفراسة الإيمانية ، وهذا يكون بحسب قوة الايمان ، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحد فِراسةً . فمن غرس الايمان في أرض قلبه الطيبة الزاكية وسقى ذلك الغراس بماء الاخلاص والصدق والمتابعة ، كان من بعض ثمره هذه الفراسة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ قول الله تعالى. " إن في ذلك لآيات للمتوسمين ") . وعن أنس رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم) رواه الطبراني في الأوسط . وأصل هذا النوع من الفراسة ، من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده فيحيا القلب بذلك ويستنير ، فلا تكاد فراسته تخطئ قال الله تعالى. " أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ".

هذه الفراسة تتكون للعبد بحسب قربه من الله، فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه ، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه ، وأضاء له من النور بقدر قربه ، فرأى في ذلك ما لم يره البعيد المحجوب . وقد دخل قوم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعمر في مقدمة الصحابة ممن عرف بالفراسة رضي الله عنه وسيأتي معنا شيئ من أخباره بعد

قليل ، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري. (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحدّثون فإن يك في أمتي فإنه عمر) . دخل قوم على الفاروق عمر فصعّد فيه عمر النظر وصوّبه ، وقال . أيهم هذا ؟ قالوا . مالك بن الحارث ، فقال. ما له قاتله الله، إني لأرى للمسلمين منه يوماً عصيباً . فكان كما تفرس رضي الله عنه فكان منه في الفتنة ما كان .

ودخل رجل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد رأى امرأة في الطريق فتأمل محاسنها ، فقال له عثمان . يدخل عليّ أحدكم وأثر الزنى ظاهر على عينيه ؟! فقلت . أوحيٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال . لا، ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة .

فالفرق بين الفراسة والظن أن الظن يخطىء ويصيب وهو يكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته، ولهذا أمر تعالى باجتناب كثير منه ، وأخبر أن بعضه إثم . وأما الفراسة فأثنى على أهلها ومدحهم في قوله تعالى" إن في ذلك لآيات للمتوسمين " قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أي للمتفرسين وقال تعالى. " يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم " وقال تعالى. " ولو نشاء لأريناهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول " فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه من الأدناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه . ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال. (ما تقرب إليّ عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) .

فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه يفيده محبته له فإذا أحبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله فسمع به وأبصر به وبطش به ومشى به فصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه فلا تكاد تخطىء، له فراسة فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه، فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه ، وإذا غلب على القلب النور فاض على الأركان وبادر من القلب إلى العين فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور، وقد روي عن الشافعي ومحمد بن الحسن أنهما كانا بفناء الكعبة ورجل على باب المسجد فقال أحدهما. أراه نجاراً، وقال الآخر. بل حداداً، فتبادر من حضر إلى الرجل فسأله فقال. كنت نجاراً وأنا اليوم حداد .

وقال ابن القيم رحمه الله . كان الصديق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة وبعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووقائع فراسته مشهورة فإنه ما قال لشيئ أظنه كذا إلا كان كما قال، ويكفي في فراسته. موافقته ربه في المواضع المشهورة .

فمن ذلك أنه قال. يارسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت. " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ". وقال. يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب . واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقال لهن عمر . عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ، فنزلت كذلك . وشاوره رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى يوم بدر فأشار بقتلهم ونزل القرآن بموافقته .

مرّ بعمر رضي الله عنه سواد بن قارب ولم يكن يعرفه فقال . لقد أخطأ ظني وإنّ هذا كاهنٌ ، أو كان يعرف الكهانة في الجاهلية ، فلما جلس بين يديه سأله عمر عن ذلك، فقال. صدقت يا أمير المؤمنين . كنت كاهناً في الجاهلية.

قال ابن القيم . وفراسة الصحابة رضي الله عنهم أصدق الفراسة، ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أموراً عجيبة وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم ووقائع فراسته تستدعي سِفراً ضخماً .

ومن دقيق فراسة الصحابي جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه أن قال الشعبي كان عمر في بيت ومعه جرير بن عبد الله فوجد عمر ريحا فقال. عزمت على صاحب هذه الريح لمّا قام فتوضأ، فقال جرير يا أمير المؤمنين أو يتوضأ القوم جميعا فقال عمر. يرحمك الله نعم السيد كنت في الجاهلية ونعم السيد أنت في الإسلام .

ومن دقيق الفراسة أن المنصور جاءه رجل فأخبره أنه خرج في تجارة فكسب مالا، فدفعه إلى امرأته، ثم طلبه منها، فذكرت أنه سرق من البيت ولم ير نقباً ولا أمارة، فقال المنصور منذ كم تزوجتها، قال منذ سنة، قال بكرا أو ثيبا، قال ثيبا، قال فلها ولد من غيرك، قال لا، قال فدعا له المنصور. بقارورة طيب كان حاد الرائحة وغريب النوع فدفعها إليه وقال له تطيب من هذا الطيب فإنه يذهب غمك فلما خرج الرجل من عنده قال المنصور لأربعة من ثقاته . ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم، فمن شم منكم رائحة هذا الطيب من أحد فليأت به، وخرج الرجل بالطيب فدفعه إلى امرأته فلما شمته بعثت منه إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت إليه المال فتطيب منه ، ومر مجتازا ببعض أبواب المدينة فشم الموكل بالباب رائحته عليه فأتى به المنصور فسأله من أين لك هذا الطيب فلجلج في كلامه ، فدفعه إلى والي الشرطة فقال إن أحضر لك كذا

وكذا من المال فخل عنه وإلا اضربه ألف سوط، فلما جرّد للضرب أحضر المال على هيأته فدعا المنصور صاحب المال فقال. أرأيت إن رددت عليك المال تحكّمني في امرأتك، قال نعم، قال هذا مالك، وقد طلقت المرأة منك.

وقال رجل لإياس بن معاوية . علمني القضاء فقال إن القضاء لا يعلم إنما القضاء فهم ، ولكن قل. علمني من العلم . وهذا هو سر المسألة فإن الله سبحانه وتعالى يقول. " وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما " فخص سليمان بفهم القضية وعمهما بالعلم . وكذلك كتب عمر إلى قاضيه أبي موسى في كتابه المشهور وقال له . الفهم الفهم فيما أدلي إليك . والذي اختص به إياس وشريح وغيرهم من أهل الفراسة مع مشاركتهما لأهل عصرهما في العلم هو الفهم في الواقع والاستدلال بالأمارات وشواهد الحال، وهذا الذي فات كثيرا من الحكام والقضاة فأضاعوا كثيرا من الحقوق .

وخلاصة القول أن الفراسة هى مسألة تخمين لمعرفة ما يدور فى الشخصة ، أو تخمين لمعرفة أحداث وأقوال لم يسمعها صاحب الفراسة وإنما توقعها ، وهنا لا يتعارض المبدأ القرآنى بأن الغيب صفة مميزة لله وحده وبين إستقراء الأحداث وإن لم تكن مطابقة ولكن تكون أقرب ما يكون من الواقع .

- **أثر الكلمات :**

الكلمات التى تصدر من بنى البشر هى ماتميزهم عن باقى المخلوقات ولولا الكلمات لما كانت الحضارات والرسالات السماوية ، ولكى نبدأ بالحديث عن تأثير الكلمات على الشخصة نذكر أولاً العبارة الشهيرة والمتداولة التى تعبر بصدق عن تأثير الكلمات وهى " الكلمة نور وبعض الكلمات قبور" وهى ولا شك حقيقة قاطعة حيث أن

الكلمة ترفع المعنويات وتشحذ الهمم وتقوى الإرادة وتبعث الراحة والسرور وتصبح من أهم عوامل السعادة ، والكلمة قد تدفع الشخص للإكتئاب واليأس والإحباط .

وفى هذا المعنى يقول الله تعالى " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء " سورة إبراهيم . الآية ٢٤ حتى أن آدم عليه السلام حينما عصى الله تعالى فى بدأ الخلق وشعر بعدها بالندم أراد أن يتوب ، وفى هذه الحالة علمه المولى عز وجل كيف يتوب ويكفر عن خطأة وكان ذلك ببعض الكلمات التى قالها وتقبلها الله منه حيث يقول جل شأنه " فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " سورة البقرة . الاية ٣٧ .

ولعلنا لو نظرنا لأثر الكلمات فى الصحة النفسية والعلاج النفسى لوجدنا أن عليها يقوم العلاج برمته ، حيث لا منفذ للمعالج كى يغوص فى نفس المريض إلا من خلال الكلمات التى ينطق بها المريض، ومنها يفهم المعالج ما يريد ويعتمد على زلات اللسان وما إلى ذلك .

ومن هذا المطلق فإن للكلمات شأن عظيم الأثر فى الحياة وفى الخلق، ويروى فى الأثر أن الله أول شئ خلقه كان القلم ، ثم قال الله تعالى له أكتب ، فقال القلم وما أكتب ، قال تعالى أكتب كل شئ ، فكان القلم يكتب كلمات ، وهذه الكلمات المكتوبة تأخذ قوة التنفيذ بكلمة أخرى من الله جل شأنه وهى كلمة " كن " حيث يقول تعالى " بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ " سورة البقرة . الآية ١٧٧ ، وقوله تعالى " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ " سورة آل عمران . الآية ٥٩.

فمن الواضح أن الله تعالى يسير الكون والخلق بالكلمات ، وجعل للبشر نصيب منها يتعاملون بها فيما بينهم فكانت لها القوة فى التأثير مع الفرق الكبير بين قوة الله وقوة البشر ، فكلمات الله تستمد قوتها من جلال الله وعظمته حيث يعب عن ذلك فى قوله تعالى " قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا " سورة الكهف . الآية ١٠٩ وقوله تعالى " وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " سورة لقمان . الآية ٢٧ .

ولهذا كله جعل الله للكلمة قدسية ، وجعل من يحترم كلمته يعلو فى المكانة وترتفع هامته حتى وإن كان كافراً ، ومن لا يعبئ بكلمة قالها ولا يسعى لتنفيذها يسقط من أعين الناس ولو كان مسلماً موحداً برب السماء ، ولقد بدأ الله بذاته العليا حيث علمنا إحترام الكلمة فى قوله تعالى " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ " سورة هود . الآية ١١٠ ، وقوله تعالى " وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى " سورة طه . الآية ١٢٩ .

وقد يسأل سائل .. هل الكلمة هامة إلى هذا الحد ؟ وهل احترامها أمر بهذه الخطورة ؟ ، والإجابة نذكرها من خلال شهادة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله " فهذه الكلمات السبع هى بوابة الدخول إلى الإسلام وهى مفتاح الجنة فليس هناك طقوس أو تعميد أو ترانيم بل كلمات لها قدسيتها واحترامها ، وبهذه الكلمات أسس الرسول الكريم أمة كبيرة وأستقطب القلوب وهزم ملوك الدنيا ، والعجب من ذلك أن الله تعالى حينما كان يعطى لكل نبى معجزة حسية يراها الناس ليدعم موقف نبيه ، أعطى النبى محمد معجزة كلامية عرفت بالقرآن الكريم ، فما القرآن إلا كلمات منظومة ومرتبة لها قوة تأثير جبارة

على الإنس والجن والجماد والنبات ، وقد أثبتت التجارب المتعددة التى لا مجال لذكرها قوة تأثير آيات القرآن فى مواضع شتى ، وبهذا المنطق جعل الله للكلمة شأن لا يعادله شأن .

وقد قال الرسول الكريم " الكلمة الطيبة صدقة " وقال أيضاً " إمسك عليك هذا وهذا أضمن لك الجنة " وأشار إلى لسانه وفرجه ، وذلك حتى يعلمنا قيمة الكلمة وأن خروجها عقد موثق يلزم المؤمن ، ويفرق بين المؤمن والمنافق والمتلاعب ، وقد أثبتت التجربة الإنسانية أن الشخص المعروف عنه صدق الحديث وإحترام كلماته أوفر حظاً وإحتراماً فى عيون الناس ممن يبيع كلماته رخيصة ، ويلقى بها فى كل مكان دون رابط أو رقيب وقد ينسى ما قال من كثرة العبث بالكلمات ، ويؤكد ذلك المعنى سؤال احد الصحابة لرسول الله " هل نؤاخذ بما نتكلم به يا رسول الله ؟ فقال النبى . ثكلتك أمك .. وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلى حصائد ألسنتهم " ويقول تعالى " مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " سورة ق . الآية ١٨ .

ولعل المنظور النفسى لا يختلف عن المنظور القرآنى لأثر الكلمات فى نفوس البشر ، فكثير من الحالات النفسية المتضاربة تكون بسبب الكلمات فنرى شخص تملئ نفسه البهجة والسعادة والرضا ثم يسمع كلمة من شخص آخر توقع فى نفسه أثر سئ تحول فى لحظة سعادته وبهجته إلى جحيم نفسى لا يطاق وأفكار سوداء تتصارع بداخله، والعكس صحيحاً فكم من شخص نراه خامداً متراخياً يشعر بالضيق والهم والإختناق ثم يسمع بعض كلمات تمثل خبراً فيزول همه وتنقشع أحزانه فى ثوانى معدودة .

والمسألة هنا تحتاج إلى شقين ، أولهما كيفية احترام الكلمة والعمل على تنفيذها بكل جدية ، والثانى كيفية تقبل الكلمات اللازعة والمحبطة دون أن نترك لها المجال لتدمير الذات ، فالشق الأول المرتبط بقدسية الكلمة وعلو شأنها لن يتأكد أو ينمو بداخل النفس إلا من خلال تنمية الشعور بقدسية الله لأنه هو الرقيب على الكلمات ، ولأن معجزته كانت كلمات ، وبذلك أشعر أن كلمتى يشاركنى فيها الله تعالى فتأخذ عندى مكان العقد الموثق الذى يسرى بقوة القانون والذى لا يستطيع أحد تعطيله أو مخالفته ، أما الشق الآخر فهو التدريب على تلقى صدمات الكلمات والتعامل معها بالكيفية التى علمنا الله إياها فى قوله تعالى " لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ " سورة الحديد . الآية ٢٣ .

ويجدر بنا فى هذا المقام ذكر قصة فيها خلاصة تأثير الكلمات على نفوس البشر، فقد كان للإمام الشافعى مجلس علم يحضره عدد معروف من تلاميذه ، وفى أحد الأيام وجد الشافعى رجل غريب لا يعرفه حسن الهيئة يبدو عليه الوقار والعز ، وكان الشافعى يعانى من ألم فى ساقه وكان يتوجع منه ، فنصحه أحد التلاميذ أن يرفع ساقه على مقعد آخر حتى يرتاح ، فتحرج الشافعى من ذلك وقال إن فى المجلس رجل لا يعرفه يبدو عليه الوقار فلا يصح أن يفعل ذلك أمامه ، وظل فى درسه الذى كان يتحدث فيه عن التيمم والوضوء ، وهنا سأل الرجل الغريب الشافعى .. كيف يتيمم الرجل لو لم يجد أرض تحته ، وهنا سأله الشافعى وكيف لا يجد أرض تحته ، فقال الرجل كأن يكون معلقاً فى الهواء مثلاً وهنا ضحك الشافعى من سذاجة الرجل وبلاهة عقله وقال الآن آن للشافعى أن يفرد ساقه على المقعد .

ومن هذه الواقعة نلاحظ أن الشافعى كان يحكم على الرجل فى الأول الأمر من خلال مظهره ، ولكن ما كشف الرجل إلا كلماته التى أسفرت عن عقل خاوى ، والتى أحطت من شأنه وسترت مظهره البراق ، وبهذا كانت الكلمات لها القدرة على علو شأن صاحبها أو إنحطاطه .

ويحضرنا قول أحد الفلاسفة الغربيين " تكلم حتى أراك " فالشخص لا يرى على حقيقته إلا من خلال كلماته ، فهى بمثابة نضوح ما بالإناء .

- **الاختلاف فى الرأى :**

منذ خلق الله الأنفس البشرية خلق معها اختلاف الرأى ، وخلق معها القدرة على سماع الآخر وتقبل وجهة نظره ولكن المولى عز شأنه لم يعطي هذه القدرة لكل البشر ، فأصبح هناك اختلاف فى الرأى لا يسفر إلا عن عدد من الاتجاهات والحلول للمواقف والمشاكل ، وإختلاف آخر قد يسفر عنه القتل والخراب والدمار .

ولذلك يقول الخالق العظيم " كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " سورة البقرة . الآية ٢١٣

ولعل من سنة الله فى خلقه أن الاختلاف لم يقتصر فقط على بنى البشر ولكن الاختلاف سنة كونية فى جميع المخلوقات الآخرى حتى ان الله تعالى ذكره فى محكم التنزيل فى قوله " ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " سورة النحل . الآية ٦٩

ولم يخرج النبات عن هذه السنة الكونية فى الاختلاف الذى أضفى عليه البهاء والجمال والفائدة لباقى المخلوقات كما فى قوله تعالى " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ " سورة فاطر. الآية ٢٧

بل وقد خرج الاختلاف عن حيز الكائنات الحية إلى حيز أوسع وأرحب وهو الاختلاف الكونى العظيم بين الشمس والقمر والليل والنهار والأرض والبحار كما يقول عز من قائل " إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ " يونس . الآية ٦ ويقول فى آية أخرى " هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " المؤمنون . الآية ٨٠ .

ومع ظهور آخر التشريعات السماوية على يد النبى الخاتم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لم يغلق باب الاختلاف ، بل ظهر العديد من أوجه الاختلاف مع التشريع الجديد من غير المسلمين كما فى قوله تعالى " إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ " سورة آل عمران . الآية ١٩ .

ولودخلنا مع الفئة المؤمنة بهذا التشريع المحمدى الخاتم لوجدنا إختلاف من نوع آخر كما يقول تعالى " إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ " سورة الذاريات . الآية ٨ ، فقد كان فيهم العلماء والعامة ، فأما العامة من الناس فقد كانوا يتلقون من أهل العلم ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسائل التي لا خلاف فيها من جمهور المجتهدين ، كمسائل الطهارة والصلاة والصيام والزكاة ونحوها فيعملون بحسب ما روي لهم فيها ، وإذا وقعت

لهم أمور فيها من الدقة ما يحتاجون معه إلى الاستفتاء ، استفتوا أهل العلم في ذلك دونما نظر إلى المذهب الذي يتمذهب به ذلك العالم .

وأما خاصة الناس وأهل العلم منهم ، فقد كانوا يشتغلون بالحديث ، ويتلقون من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه ما لا يحتاجون معه إلى شيء آخر في المسألة من حديث مستفيض أو أقوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين ، فإن لم يجد أحدهم في المسألة ما يطمئن إليه قلبه لتعارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك رجع إلى كلام من سبقه من الفقهاء ، فإن وجد قولين اختار أوثقهما سواء كان من أهل المدينة أو الكوفة .

وكان أهل التخريج منهم يخرجون فيما لا يجدونه مصرحاً به ويجتهدون في المذاهب ، وينسبون إلى المذهب الذي يخرجون عليه، فيقال. فلان شافعي وفلان حنفي، دون أن يكون هنالك التزام بالمذهب كما صارت إليه الحال فيما بعد. وأصحاب الحديث منهم ينسبون إلى المذاهب لشيوع التوافق ، فالنسائي أو البيهقي أو الخطابي كانوا ينسبون إلى الشافعي مثلاً ، وكان لا يتولى القضاء إلاّ مجتهد ، ولا يسمى العالم فقيهاً إلاّ إذا كان مجتهداً.

ومن المسلم به أن أسباب الاختلاف أصبحت بالفهم الخاطئ أسباب للخلاف تتباين بين العصور ، وإن كان كل عصر يورث العصور التالية بعض أسبابه ، وإن من أبرز وأهم أسباب الاختلاف اليوم هو الجهل بالإسلام، أو العلم الناقص به .

ولو تتبعنا الحالة النفسية للاختلاف لوجدنا أن هناك نقطة التحول من تقبل الرأى المخالف إلى التعصب فى الرأى والوصول إلى حافة الصدام هى النقطة التى يسلم الانسان زمام نفسة الى الشيطان يتحكم فيها بسهولة بالغة .

وفي قصة الرجل الاعرابى عظة حيث حلف ألا يقرب زوجته حينا من الدهر .. ولم يعرف الاعرابى مدة ذلك الحين الذى أقسم عليه ، فذهب ليسأل عن معنى الحين ، فووجد بعض اصحاب الحكمة فقص عليهم مشكلته وسألهم عن الحين ومدته .. فماذا كان جوابهم عليه ؟

قال الأول : اذهب فطلق أمرأتك فالحين هو العمر كله ، وقال الثاني: ان عشت ٤٠ سنة يمكنك ان ترجع الى إلى امرأتك فالحين ٤٠ سنة ، وقال الثالث : امكث عاما ثم ارجع إلى أمرأتك فالحين عام فقط ، وسأل الرابع الاعرابى. متى حلفت ؟ قال بالأمس .. فقال له أرجع إلى امرأتك فالحين هو نصف يوم .

وبعد ذلك بدأ كل واحد يخبر عن سنده في رأية وقد أجميعوا بأنها من كتاب الله .. قال الأول: قال تعالى فى قوم يونس " فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ " سورة يونس. الآية ٩٨ ، وقد سبق أن فسر لهم الرسول ذلك بأن الله تركهم بلا عذاب وصرفه عنهم العمر كله .. فالحين اذن العمر كله .

وقال الثاني: قال تعالى " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا " سورة الانسان . الآية ٥٦ ، وقد سبق ان فسر رسول الله الاية بأنه أتى على أدم ٤٠ سنة مخلوقاً مصوراً لايدرى ما هو وما سمه وما يراد به فالحين ٤٠ سنة .

وقال الثالث : الحين عام حيث قال تعالى عن الشجرة الطيبة وهى النخلة " تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا " سورة ابراهيم . الآية ٢٥ ، فالنخلة شجرة ثمارها كل عام .

وقال الرابع : الحين نصف يوم كما فى قوله تعالى " فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ "سورة الروم . الآية ١٧ . فكان ذلك اختلافاً لا خلافاً بين عقول صافية وقلوب خاشعة ، ولعل نفس المسألة قد تكون حرباً بين آخرين وصراع لا ينتهى .

- **البكـــــاء :**

لقد أجريت الأبحاث الحديثة على هذا السائل الخارج من العين المعروف بالدموع لفهم تركيبه ومحتوياته ، ومازال العلم يخبئ في جعبته الكثير والكثير عنه مما لا نعرفه عن هذا السائل الرقراق .

فهى قطرات متلألئة تترقرق في العين عندما تجيش النفس بشتى الانفعالات ، لقد قيل إن الدموع سلاح المرأة عندما تضعف الكلمة عن البيان وتقصر الحجة عن الإيضاح ، يراها البعض ضعفا مهينا ، ويراها آخرون تنفيساً و ترويحاً ويحسبها البعض في عيون المسنين انكسارا وتسليما. هذه الدموع لعل بها أسراراً كثيرة اكتشفها العلماء وأسراراً أخرى مازالت طي الخباء تنتظر أن يطلقها المستقبل .

لقد عرف البكاء منذ فجر التاريخ وارتبط بمشاعر الإنسان ، وهو شائع في مختلف الأعمار والأجناس والبيئات ، وينصح العلماء بالتعبير والإفصاح عن الأفعال وعدم كبتها حيث وجد العلماء أن البكاء يريح الإنسان من الضغوط المُعرض لها إذ يُخلِّص الجسم من الكيماويات السامة التى تكونت نتيجة الضغوط والانفعالات ، فالدموع تغسل العين وتنظفها من كل جسم غريب وضار بها ، فهي تعمل كأحد أنظمة طرح النفايات خارج الجسم . وقد أثبتت الإحصائيات أن البكاء يختلف باختلاف المجتمعات حتى أن هناك شعوب لا تبكى كثيراً مثل الشعب الفرنسي الذي لا يبكى فيه إلا ٨% فقط من تعداده بسبب العلاقات الرومانسية .

وهناك ما يعرف بين الناس بدموع التماسيح ، فالمعروف والثابت علمياً أن الحيوانات لا تعرف البكاء أبداً فالحيوانات لا تبكى أبداً بالرغم من أنهم يملكون قنوات دمعية ولديهم دموعا ولكنها لا تظهر إلا لأسباب عضوية بحتة إذا هيجت النهايات الحسية العصبية في عينيها، مثل ترطيب العينين ، ولكنها لا تبكى مثلنا أبدا من أجل المشاعر وأحاسيس معينة .

وهنالك حيوانات لا يُستثار دمعها أبداً كالتماسيح التى امتنعت استثارة البكاء فيها على العلماء والباحثين مع أن التشريح أثبت وجود غدد دمعية متكاملة لديها . لذلك كان مثل " دموع التماسيح " غير دقيق ومجانب للحقيقة ولذلك فإن عبارة " دموع التماسيح " هذه تطلق على الإنسان الغير صادق في مشاعره أو الذي يصطنع البكاء في المواقف التى تحتاج البكاء والتحزن الذي يعقبه عذر وإفك ، تماماً كالتماسيح التى ينزل الدمع بغزارة من عينيها كلما جرى المضغ ، مع أن المعروف عنها عدم البكاء ، وذلك هو ما عبر عنه القرآن الكريم فى قصة نبى الله يوسف عن إخوته عندما خدعوا أبوهم بعدما ألقوا يوسف فى البئر فقال الله تعالى " وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ " سورة يوسف . الآية ١٦ . وهنا خطورة بالغة على الحياة الإنسانية حيث أن الخوف كل الخوف أن تكون خطوات الإنسان تتجه في النهاية إلى تصرفات الحيوان الذي يجهل معنى البكاء والذي يتألم حتى دون أن يستطيع التعبير إلى أن يموت الألم بداخله ، وهذا هو ما كان يتعوذ منه الرسول صلوات ربى وسلامه عليه الكريم فى دعائه حيث يقول " اللهم إنى أعوذ بك من عين لا تدمع".

ويعتقد البعض خطأً أن البكاء بالنسبة للرجل إشارة إلى ضعفه ، لهذا فالرجل أقل بكاء ، وقد أيَّد ذلك بعض العلماء ، إلا أنهم وجدوا حديثاً أن هرمون " البرولكتين

Prolactin "وهى المادة الضرورية في تكوين الدموع موجودة بنسبة كبيرة في المرأة عنها في الرجل . وهذه الحقيقة توضِّح أن المرأة لديها قابلية طبيعية للبكاء أكثر من الرجل ، وإذا تسللنا إلى أعماق الرجل نراه يجد صعوبة كبيرة في التحدث أو التعبير عن مشاعره الدفينة وأسباب ذلك كثيرة ، فالبعض تعلم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أنه لا يليق بالرجل أن يعبر عن مشاعره علانية وبخاصة مشاعر الألم حيث يعتبر ذلك ليس من الرجولة .

وهناك مجتمعات لا تحترم الشخص الذي يبكى وتُعِّلم أبناءها منذ الصغر أن البكاء من شأن النساء . وعلى عكس ذلك فهناك مجتمعات أخرى تعبِّر عن انفعالاتها بشكل ملحوظ ولا تستطيع السيطرة على مشاعرها أو التحكم في دموعها . ويعتقد البعض الآخر أن التعبير عن الألم يُظهر عدم الرضا بقضاء الله تعالى ، وهذا اعتقاد خاطئ لأنه على العكس والنقيض من ذلك تماماً ، فالبكاء عند سماع الموعظة أو عند التأثر بموقف معين هو صميم الإيمان بالله تعالى حيث يقول الحق سبحانه وتعالى " وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ " سورة التوبة . الآية ٩٢ ، وقوله جل شأنه " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سُجدا وبُكياً " سورة مريم . الآية ٥٨ ، ودعاء الرسول صلوات ربى وسلامه عليه صلوات الله وسلامه عليه عند وفاة إبنه حيث قال (إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون وإنا لله وإنا إليه راجعون) .

فعندما يغمر الرجل الحزن والأسى فإنه لا يعرف كيف يُعِّبر عن مشاعره بطريقة إيجابية وقد يتمركز حول ذاته ، وقد ينغمس في عادات معتقداً أنها يمكن أن تُبَّدل أحزانه، وقد يفقد اهتمامه بمسؤلياته ، ولو عاد أى شخص للقرآن الكريم لسمع وصف

الله تعالى للمؤمنين الرجال حيث يقول عز من قائل " وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا " سورة الإسراء . الآية ١٠٩ .

فالبكاء ليس مجرد أن تبكي من مشكلة أو مصيبة حلت بك ، ولكن هناك بكاء الندم على خطأ أو ذنب أو طمعا ورجاءاً في رحمة الله لأن أى إنسان لو تخيل للحظات أنها قد تكون الليلة الأخيرة له فى الدنيا لبكى حزناً على ما فعل من ظلم أو تفريط ، إن المحب إذا أساء إلى حبيبه ثم اعترف بخطأه بين يديه وطلب السماح والصفح منه ، قد يبكي بين يديه حتى يعفو حبيبه عنه ويسامحه وليس أحد يرتكب ذنباً أكثر من عبد يعصي ربه بعدما أنعم عليه نعم لا تحصى ، كما قالى تعالى " وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ " سورة المائدة . الآية ٨٣ .

فما أجمل من أن تعترف بذنبك بين يدى خالقك وتطلب العفو منه قبل نومك وتقول فى خشوع اللهم لاتخرجنا من هذه الدنيا حتى ترضى عنا ، اللهم استرني فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك .

- **الضحك :**

كثيراً ما يذكر أن من أهم ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات الحية هو أنه يضحك ويبكى ، حيث أن الحيوانات تفتقد لملكة الضحك والبكاء بمعناه التكيفى ، ولا يقصد بذلك بعض الضحكات التى تصدر من بعض القردة والغوريلا وإنسان الغاب

نتيجةحركـة الإستنشـاق والزفيـر وإنمـا الضـحك بمعنـاه البـاطنى الصـادر مـن مواقـف يستوعبها العقل ، وقد تحدثنا سالفاً عن ملكة البكاء ، فماذا عن ملكة الضحك ؟

يـذكر الفيلسـوف هيجـل أن الضـحك ينشـأ نتيجـة لوجـود التنـاقض بـين المفهـوم والمعنـى الحقيقـي الدفين الذي يقدمـه هذا المفهوم ، ويضيف فرويد أن الضحك ظاهرة ، وظيفتها إطلاق الطاقة النفسية التي تم تعبئتها بشكل خاطىء أو بتوقعات كاذبة .

ومن هنا يمكن تعريف الضحك على أنه شكل من أشكال التعبير الذى يظهر خارجياً علـى الإنسـان فـى صـورة مـرح وفـرح ، وتتعـدد أسـباب الضـحك ، الـذي يوصـف أيضـاً بأنـه رد فعـل فسـيولوجي نتيجـة للمـرور بخبـرة مـا مثـل سـماع نكتـة أو عنـد سـماع مداعبـة ... وغيرهـا مـن الأسـباب الأخـرى . وقـد يحفـز استنشـاق الإنسـان لـبعض المـواد الكيميائيـة مثـل الأكسـيد النترى وهـو مـا يطلـق عليـه أيضـاً الغـاز المضـحك علـى إطـلاق نوبـات مـن الضـحك الهسـتيري، أو للاعتمـاد علـى بعـض العقـاقير مثـل الحشـيش ، وقـد تتسـبب نوبـات الضـحك القويـة فـى إفـراز العـين للـدموع وبعـض الآلام البسـيطة فـى العضلات كاستجابة لهذه الحالة الشعورية القوية

وقد يكون الضحك نتيجة لوجود شخصية سادية تهوى التحكم وإيقاع الآخرين فى صدمات مؤلمة تحفزهم على الضحك العصبي ،فالضحك جزء من السلوك الإنساني الذي ينظمـه المخ ، وتسـاعد هذه العاطفة الشعورية الإيجابية من الدرجة الأولى الإنسان على أن يوضـح نواياه فـى إطـار التفاعل الاجتمـاعي ، حتـى أنـه قد وضـع أسـاس لعلم يـدرس الضحك والدعابـة وتأثيرهما النفسـي والفسيولوجي على جسد الإنسـان وقد أطلق على هذا العلم اسم علم الجيلوتولجى (Gelotology) .

وهناك ما يعرف بالضحك الإنكارى ، ويعتبر هذا النوع من الضحك ما هو إلا وسيلة من وسائل تطهير العقل من جميع الخبرات والأفكار السلبية المحتمل وقوع النفس فيها ، مثلما يرى شخص شخصاً آخر يقع على الأرض ينفجر فى الضحك ، لأنه يدرك حقيقة رفضه لوقوعه هو نفسه ، وبانطلاق الضحك فهو يحاول أن يبعد الفكرة السلبية للوقوع على الأرض عن ذهنه وتفكيره

وقد عبر القرآن الكريم عن الضحك كوسيلة من وسائل السخرية أو العقاب أو حسن الجزاء والثواب ، كما فى قوله تعالى عن من أنكروا رسالة التوحيد وأيات الذكر الحكيم " فَلَمَّا جَاءهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ " سورة الزخرف . الآية ٤٨، وقوله تعالى عن من سخروا من المؤمنين فى صلاتهم ومعاملاتهم " إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ " سورة المطففين . الآية ٢٩ ، وقوله تعالى مخاطباً المشركين به وأعدائه وأعداء رسوله " اتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ " سورة المؤمنون . الآية ١١٠ .

وهناك نوعاً آخر من الضحك وهو ضحك الإثابة من الله تعالى كمكافأة لمن أتبع منهجه من المؤمنين كما فى قوله تعالى " فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ " سورة المطففين . الآية ٣٤ ، فكان الضحك فى أول الأمر وسيلة تعذيب نفسى من الكفار للمؤمنين ، والضحك فى المرة الثانية وسيلة ثواب فى الجنة للمؤمنين ليردوا إعتبارهم أما من سخروا منهم .

ولنا وقفه مع الحديث النبوى الذى قاله النبى الكريم لبعض اصحابه عندما خرج عليهم وهم يضحكون ، فقال الرسول صلوات ربى وسلامه عليه " لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً " وهذا على إعتبار أن من يعلم حقيقة الحياة الدنيا وملكوت

الآخرة لأنشغل بأمور الآخرة ، وعلى هذا المنوال يقول تعالى " أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ " سورة النجم . الآياتان ٨٩ – ٦٠ ، ولا يمكن أن يأخذ هذا الحديث أو تلك الآية الكريمة على إعتبار أن الضحك وسيلة مرفوضة للتعبير عن النفس، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائم التبسم والدخول فى المداعبات الكلامية مع أصحابه لإستمالة قلوبهم ووجدانهم حيث قال " تبسمك فى وجه أخيك صدقة " ، ولكن ميزان الأمر يأتى فى الإعتدال والوسطية والحفاظ على وقار المؤمن وخشوعه.

فخلاصة القول أن الضحك لغز إدراكي يسعى الإنسان لحله ، فالنكتة تخلق جواً من عدم المواءمة والجمل فيها تظهر وكأنها غير متصلة بالموضوع .. وحينها يحاول الإنسان بشكل تلقائي أن يحلها للعثور على ما تخفيه هذه الجملة ، ولكن إذا خفق فى التوصل إلى الحل وإلى الفكرة المنطوية عليها فلن يأتي الضحك ، ويقول العالم ماك سينيت عندما يرتبك الجمهور من المشاهدين لن يكون هناك ضحكاً ، وهذا هو أحد القوانين الأساسية للكوميديا، فعليك أن تستمتع باللحظة التي تعيشها فالضحك هي البطارية التي تشحذ عقولنا وأجسامنا ومشاعرنا .

وأكثر الناس يمر على الآية الكريمة فى الذكر الحكيم "وأنه هو أضحك وأبكى" سورة النجم . الآية ٤٣ ولا يلتفت إليها أحد ولكن هذه الآية فيها إعجاز من الله سبحانه وتعالى يقول الحق سبحانه وتعالى "وأنه هو أضحك وأبكى" معناه أن الضحك والبكاء من الله .. وكونه من الله سبحانه وتعالى يكون لجميع خلقه ، فالله يعطي جميع خلقه ذلك ، فإذا نظرت إلى الدنيا كلها تجد أن الضحك والبكاء موحدان بين البشر جميعا على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم .. فلا توجد ضحكة إنجليزية وضحكة أمريكية وضحكة افريقية .. بل

هي ضحكة واحدة للبشر جميعا ولا يوجد بكاء آسيوي أو بكاء أسترالي، وإنما هو بكاء واحد.

فلغة الضحك والبكاء موحدة بين البشر جميعا وهي إذا اصطنعت تختلف . وإذا جاءت طبيعية تكون موحدة .. ولذلك إذا اصطنع أحدنا البكاء أو أصطنع الضحك فإنك تستطيع أن تميزه بسهولة عن ذلك الانفعال الطبيعي الذي يأتي من الله ، ومن العجيب أنك ترى مثلا الفيلم الكوميدي الذي صنع في أمريكا يضحك منه أهل أوروبا والذي صنع في آسيا مثلا يضحك منه أهل استراليا ، بل إن هناك من أعطاهم الله موهبة القدرة على إضحاك شعوب الدنيا كلها .

وهكذا تنزل أحيانا الرحمات من الله فتفيض العيون بالدموع ، وأحيانا يريد الله أن يروح عن النفوس فتتعالى الضحكات ولكن قد يقول بعض الناس .. إن هناك ما يضحك وأحدا ولا يضحك الآخر .. وأن هناك مشهدا يبكي إنسانا ، في حين تتحجر الدموع في العيون فلا يبكي إنسان آخر في نفس الموقف .

ولذلك فإن فهم الآية الكريمة "وأنه هو أضحك وأبكى" ليس معناه بالضرورة أن الناس تضحك معا وتبكي معا .. ولكن معناه أن الإنسان لا يستطيع أن يضحك نفسه ، ولا أن يبكي نفسه عن شعور صادق وبلا اصطناع ولكن ذلك من عند الله ، ولذلك انعدمت فيه الإرادة البشرية ، وليس لكل واحد منا قادرا على أن يضحك ضحكة طبيعية بإرادته كأن يقول إنني سأضحك الآن فيضحك .. ولا يستطيع إنسان أن يبكي بكاء طبيعيا كأن يقول أنا سأبكي الآن فيبكي .. إلا أن يصطنع الضحك أو البكاء بشكل غير طبيعي ولكن يأتي الضحك والبكاء من الله حين يكون طبيعيا .. ولأنه يأتي من الله فهو

موحد بين البشر جميعا .. فإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يضحك نفسه أو يبكي نفسه فكيف يدعى أنه سيد نفسه .

- **الكاريزما :**

عندما يطلق على شخص ما أنه يتمتع بجاذبية الذات فبهذا تتوافر فيه ما يعرف بالكاريزما ، والمتعارف عليه أن الكاريزما صفة لا يصعب إكتشافها ولكن يصعب تعريفها وتحديد ما هيتها ، فأصل الكلمة " كاريزما " ترجع إلى اللغة اليونانية وهى تعنى الهيبة أو المؤثر أو الحبوب أو الودود أو سلطة فوق العادة أو سحر شخصى أو شخصية تثير الولاء والحماس .

وبالبحث أكثر عن مفهوم الجاذبية وجد أنها الصفة أو السمة الغير عادية التى تتحقق لدى الفرد ، فتجعل قدراته خارقة للعادة ، ويعني المصطلح من الناحية اللفظية " هبة الله " ، أما الشخص المتصف بالجاذبية والمعروف بالكاريزمى هو شخص وجد ليبقى فى الذاكرة لا ينسى ابدا سواء احببته أم كرهته

والشخص الجذاب الذى له هذه الصفات التى تلفت الإنتباه وتجعل الناس يستمعون بلهفه لكلامه قد يصل لمرتبة الزعيم فيصبح كلامه وأفعاله أكثر تأثيراً فتحبه وتعشقه الشعوب حتى أنها تغمض عيونها عن أفعاله وتصرفاته الخاطئة حتى وإن ألقاها فى هاوية ودمرها كما فعل هتلر بألمانيا وغيره من الزعماء أصحاب الكاريزما العليا الذين أوردوا شعوبهم موارد التهلكة كما حدث لمصر من هزيمة ١٩٦٧ مع حبهم الشديد وتعلقهم بشخص جمال عبد الناصر ، أو كما حدث للعراق من دخول الجيوش الأجنبية لأرضها وتدميرها بسبب سؤ تصرف صدام حسين مع تمتعه بكاريزما الزعيم ، والعكس صحيح فكم من زعماء تمتعوا بكاريزما القيادة التى جذبت شعوبهم وعشقوها ولكنهم رفعوا

شأن شعوبهم ، وأكبر مثل للشخص الكاريزمى صاحب التأثير النافذ فى قلوب الناس هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان يتمتع بالذات الجذابة التى يستطيع أن يؤسر بها نفوس من حوله ويخضع عقولهم لكلامه ، وبهذا وصفه الله جل شأنه فى قوله تعالى " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ " سورة آل عمران . الآية ١٥٩ ، فالجاذبية الخاصة لدى النبى الكريم كان لها أكبر الأثر فى إنتشار الدعوة بين أصحابه فى أول الأمر ، حتى أن هذه الكاريزما هى ما جعلت أبوبكر الصديق يؤمن بالرسول وبكل ما يقوله قبل أن يقوله ، فكان يؤمن به كشخص يتمتع بصفات جاذبه له ، فكان يأخذ منه دون تردد .

والشخص الكاريزمي لا بد وأن يكون له تأثير اجتماعي على من حوله فلا كاريزما بدون جمهور ، وكذلك يجب أن تتوافر فيه بعض الصفات كأن يكون نشيط حماسي سريع البديهه محبوب مثقف طموح يسعى للتحدى والتغيير ، لا يقف أمامه شئ واثق من نفسه قادر على الاقناع ، ونجد من آيات القرآن الصفات الواجب توافرها فى الشخص الجذاب حينما قال الله تعالى لنبيه موسى يرشده " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " سورة طه . الآيه ٤٤، وبهذا حتى يجد المدخل المناسب لقلب فرعون .

وقد أثبتت التجربة الإنسانية أن الإيمان والثقافة وحدها لا تكفى لجعل الشخص كاريزمى ، فعندما أسلمت طائفة من أهل يثرب وأراد النبى أن يرسل لها من يعلمها الإسلام ، كانت لحظة إختيار صعبة ، فكان على النبى أن يختار أحد أصحابه كأول سفير وداعية للإسلام فى الأرض ، وعليه عبئ كبير فى وضع قواعد للإسلام وتحبيب الناس فيه، لأن فشله فى ذلك سوف يسد أما المسلمين جبه قوية ، فوقع إختيار النبى على مصعب بن عمير وذلك لأسباب عديده أهمها أنه كان هادئ الطباع لين الجانب

لديه القدرة على أن يسمع ويفهم ويستوعب ، ثم يشرح ويبسط ويسترسل ، ويواجه المنافقين واليهود ويجادلهم بالحسنى والهوادة ، فضلاً عن عن علمه وفقه ، إلا أن العلم والفقه كان متوافراً عند كثير من الصحابة ، ولكن الصفات الآخرى هى صفات خاصة بشخص يجملها ويصقلها الإسلام ويجعلها أكثر قوة .

فمن الصعب وضع تحديد ثابت للصفات الشكلية للكاريزمى ، فقد يكون صاحب الصوت الهاديء مثل أسامة بن لادن ، أو نجد منهم الصاخب جدا صاحب الصوت الجهورى مثل القادة الذين يعتمدون على الصوت العالى ومنهم قوى البنية ومنهم ضعيف البنية ، قد يكون جميل جدا او اقل جمالا طويل او قصير ، على كل حال الكاريزما صفة تتبع من الداخل وليست صفة خارجية فمميزاته داخلية مما يضفى عليه جاذبيه خاصه وروعه منفرده

والشيء الرائع في الكاريزما انها تجعل الكاريزمي قوى بدون أن يضعف الآخرين لانه يستمد قوته من ذاته من داخله لا بسلب قوة الآخرين ، وأهم صفات الشخص المتمتع بالكاريزما ما يلى .

١) لديه القدرة على توصيل رسالته إلى الآخرين ولو بالصمت .
٢) لديه القدرة على صياغة كلامة بأسلوب سلس .
٣) لديه القدرة على الإقناع وهى أهم صفة ، بدونها لا يصبح له أى تأثير
٤) يستطيع إستغلال وقته جيداً .
٥) لديه القدرة على التكيف مع الآخرين بسهوله والإندماج معهم .

وفى أغلب الأحوال يكون الإحتياج للشخص الكاريزمى فى بعض المواقع والمواقف حتى تتحقق الفائدة منه ، مثل الجوانب الدبلوماسية والسياسية والدعوة لله والتدريس وتقديم البرامج والتجارة وغيرها من المواضع التى تحتاج للتعامل المباشر مع الآخرين .

وتحضرنى واقعة تعبر عن ذلك بجلاء ، فقد تم دعوة الشيخ سيد سابق إلى حضور ندوة دينية ، وكان معروف لدى الناس بكتابه الشهير فقه السنة ، وقد تجمع الناس بكثره فى المسجد ، وبعد إلقاء محاضرته سمعت عامة الناس يتحدثون أنه لم يكن على القدر الذى كانوا يرغبون فيه على الرغم أنه شيخ جليل وعالم ، وذلك بخلاف بعض الدعاة صغار السن وما لهم من قوة فى الأداء ومتعه فى الحديث يجلب لهم الناس من كل مكان حتى يستمتعوا بحديثهم وهنا تضح صفة الكاريزما التى لاعلاقة لها بمقدار العلم والفقه ، وأكبر مثال على ذلك تأثير الداعية عمرو خالد على الشباب أكثر من شيوخ لهم وزنهم وثقلهم فى دين الله ، ولهم من الفتاوى والفقه ما يحتاج له كل المسلمين ، ولكن الفرق الوحيد هنا هو الكاريزما .

والأمر الذى يعنينا هنا هو أن الكاريزما أمر فطرى ومنحة من الله لبعض عباده كالنعم التى ينعم الله بها على بعض الناس حتى يظهر جلاله وعظمته ، وقد يحاول البعض التلبس ببعض الصفات التى تؤهل الكاريزمى للقيام بهذا الدور ، ولكن الأمر لا يعدو مجرد محاولات غالباً لا تصل لنفس النتائج المشاهدة والمحسوسة من الشخص الكاريزمى ، ولكنها محاولات محمودة لها نتائج طيبة على كل الأحوال .

وقد جمعنا فى هذا الفصل عشرين خاصية من الخصائص التى تؤهل أى شخص للوصول إلى حيز الكاريزما والتمتع بالجاذبية لدى الآخرين على النحو التالى . .

* ابدأ بالسلام والتحية فهو دائماً مفتاح النفس البشرية ، ولهذا قال الله تعالى فى محكم التنزيل " إِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا .... " سورة النساء . الآية ٨٦ .

* ابتسم ، فالابتسامة مفعولها سحري وفيها استمالة كبيرة للقلوب ، ولهذا قال النبى المعلم (تبسمك فى وجه أخيك صدقة) .

* أظهر الاهتمام والتقدير للطرف الآخر وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك بالاهتمام والألفة والمحبة .

* شارك الناس أفراحهم وأحزانهم .

* اقض حاجات الآخرين فالنفوس تميل إلى من يقضي حاجاتها ، حتى ولو بالمحاولات الجادة بصرف النظر عن النتيجة .

* العفو عن الزلات وتغليب نفسية التسامح ، كما قال عمر بن الخطاب (أعقل الناس أعذرهم للناس) .

* تفقد الغائب والسؤال عنه ففي السؤال اهتمام .

* لا تبخل بالهدية ولو قلّ سعرها ، فقيمتها معنوية أكثر من مادية .

* اظهر الحب والاحترام وصرّح به فكلمات الود تأسر القلوب .

* قدم النصيحة لمن يحتاجها ولا تبخل بها على أحد .

* حدث الآخرين فى مجالات اهتمامهم ، فالفرد يميل إلى من يحاوره في مدار اهتمامه .

* كن متفائلاً وابعث البشرى لمن حولك .

* امدح الآخرين إذا أحسنوا فالمدح له أثر بالغ في النفس ولكن لا تبالغ فيصبح نفاق .

* انتق كلماتك ،، ترتفع مكانتك فالكلمة الحسنه خير وسيلة لاستمالة القلوب حيث أن تأثير الكلمة أشبه بالسحر .

* تواضع فالناس تنفر ممن يستعلي عليهم .
* تجنب تصيُّد عيوب الآخرين .
* تعلم فن الإنصات فالناس تحب من يصغي لها .
* وسع دائرة معارفك واكسب في كل يوم صديق .
* اسع لتنويع تخصصاتك واهتماماتك وتنمية مهاراتك تتسع دائرة معارفك وصداقاتك حيث أن خير الناس أنفعهم للناس .
* إذا قدمت معروفاً لشخص ما ، لا تنتظر منه مقابل .

ولعل هذه الإرشادات جزء مما تهفو إليه النفس البشرية فى الآخرين ، ويمكن الزيادة عليها حسب المواقف والأحداث وطبائع بعض الناس وهذا هو ما يعرف أن لكل إنسان مفتاح شخصية ندخل به لأغوار نفسه من خلالها ، كأن نرى إنسان مفتاح شخصيته فى التحدث عن المشاريع والأموال وآخر مفتاح شخصيته فى التحدث عن أمور الدين والشريعة وثالث مفتاح شخصيته فى التحدث عن الرياضه والمباريات وهكذا .

obeikan.com